## الخطبة الأولى :إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً

الحمدُ للهِ العليِّ العظيمِ، الحكيمِ الخبيرِ العليمِ، عالمِ الغيبِ والشهادةِ العزيزِ الرحيمِ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وأشهد أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه، صلاةً دائمةً لا حدَّ لها ولا عددَ.

أما بعدُ: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ...

في مِثلِ هذا الشهرِ المحرَّمِ من السنةِ السادسةِ للهجرةِ عزَم ﷺ على زيارةِ البيتِ العتيقِ مُعتمِرًا، على إثرِرؤيا حقٍّ رآها أنَّه سيدخلَ المسجدَ الحرامَ هو وأصحابُهُ آمنينَ محلِّقينَ ومقصرينَ

(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ)

خرَج ﷺ في ألفٍ وأربعِ مئَةٍ من أصحابه، مُيممًا راحلتَهُ شطرَ البيتِ الحرامِ، يَسوقُها إلى تلك الرُبوعِ سَوقًا، ويَحثُّها إلى مهوى قلبِه شوقًا ، بعد انقطاعِ سنواتٍ عن تلكَ البقعةِ المبارَكةِ، قِبلةَ القلوبِ، وموئلَ النفوسِ، تسكُنُ في رحابها الأرواحُ، وتُسكَبُ على ثراها العَبراتُ .

والحنينُ إلى المسجدِ الحرامِ والاشتياقُ إلى مَواطِنِ الخيرِ والعباداتِ دليلُ حياةِ القلبِ، وعلامةُ إشراقةِ النفسِ وصحتِها

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)

خرج ﷺ حتَّى إذَا كَانُوا ببَعْضِ الطَّرِيقِ قالَ ﷺ إنَّ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ بالغَمِيمِ في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ. فَوَاللَّهِ ما شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حتَّى إذَا هُمْ بقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وسَارَﷺ حتَّى إذَا كانَ بالثَّنِيَّةِ الَّتي يُهْبَطُ عليهم منها بَرَكَتْ به رَاحِلَتُهُ، فَقالوا: خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، فَقالَ ﷺ: ما خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وما ذَاكَ لَهَا بخُلُقٍ، ولَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ،

دافَعَ ﷺ عن ناقتِه حين ظنَّ القومُ أنها مُعانِدةٌ، ليعذرَ دابةً غيرَ مكلَّفةٍ باستصحابِ خُلُقِها الأصيلِ، وسيرتِها الناصعةِ، ولِيُعَلِّمَ أمتَه درسًا في التعاملِ والحُكْمِ على المواقفِ، وإقالةِ العثرةِ، وإيجادِ الأعذارِ لِمَنْ له مواقفُ مشهودةٌ بالخيرِ والفضل والعِلْم.

ثُمَّ قالَ ﷺ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إلَّا أعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا. فغلَّبَ ﷺ مصلحةَ حقنِ الدماءِ، وسلامةَ الأنفسِ والأرواحِ ونظَرَ في مآلاتِ المواقفِ والأمورِ، والمقاصدِ والغاياتِ، فقد كان بمكةَ جمعٌ من المؤمنينَ والمستضعَفينَ،

فلو دخَل الصحابةُ مكةَ ووقعَت حربٌ لَمَا أَمِنَ أن يُصابَ منهم (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) نزل ﷺ بأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ وشُكِيَ إليه العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أمَرَهُمْ أنْ يَجْعَلُوهُ فِي حُفرةٍ بها ماءٌ قليلٌ، فَوَاللَّهِ ما زَالَ يَجِيشُ لهمْ بالرِّيِّ حتَّى صَدَرُوا عنْه.

أرسلَ ﷺ عثمانَ ﷺ ليشرحَ لقريشٍ ما يريدُه المسلمونَ، وإذا بالمشركينَ يَعرضُونَ على عثمانَ أن يطوفَ وحدَه بالبيتِ، ولكنَّه رفضَ أن يطوفَ دونَ المسلمينَ، فاحتبستُهُ قريشٌ عندَها،

فلما طالتْ غيبَتُهُ ظنَّ المسلمونَ أن الكفارَ قتلُوُه، ودعا رسولُ اللهُ الناسَ إلى البيعةِ، وبايعوا على القتالِ وألا يفروا أبداً، وفيهم نزل قولُه تعالى (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).قال ﷺ: اللهمَّ إنَّ عثمانَ في حاجةِ اللهِ تعالى، وحاجةِ رسولِه فضربَ بإحدى يديِه على الأُخرى، فكانتْ يدُ رسولِ اللهِ ﷺ لعثمانَ خيرًا من أيديهِم لأنفسهِم

وجَاءَ بُدَيْلُ الخُزَاعِيُّ في نَفَرٍ مِن قَوْمِهِ، فَقالَ للنبيِّ ﷺ: إنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بنَ لُؤَيٍّ وعَامِرَ بنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، ومعهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ، وهُمْ مُقَاتِلُوكَ وصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، فقال ﷺ إنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أحَدٍ، ولَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وإنَّ قُرَيْشًا قدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ وأَضَرَّتْ بهِمْ، فإنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، ويُخَلُّوا بَيْنِي وبيْنَ النَّاسِ، فإنْ أظْهَرْ: فإنْ شَاؤُوا أنْ يَدْخُلُوا فِيما دَخَلَ فيه النَّاسُ فَعَلُوا، وإلَّا فقَدْ جَمُّوا، وإنْ هُمْ أبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ علَى أمْرِي هذا حتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، ولَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أمْرَهُ.

فَقالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ ما تَقُولُ. فَانْطَلَقَ حتَّى أتَى قُرَيْشًا، وحَدَّثَهُمْ بما قالَ ﷺ، فأرسلوا عُرْوَةَ بنَ مَسْعُودٍ للتفاوضِ، وعاد إلى قريشٍ وهو يقول: أيْ قَوْمِ، واللَّهِ لقَدْ وفَدْتُ علَى المُلُوكِ، ووَفَدْتُ علَى قَيْصَرَ، وكِسْرَى، والنَّجَاشِيِّ، واللَّهِ إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا؛ واللَّهِ إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَى وَضُوئِهِ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا له،

و إنَّه قدْ عَرَضَ علَيْكُم خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا. لقد تجلت لهذا الرجلِ محبةُ الصحابةِ للنبيِّ ﷺ حتى بلَغَت مدًى لا يُجارى، وسُمُوًّا لا يُبارى.

فَقالَ رَجُلٌ مِن بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقالوا: ائْتِهِ، فعادَ وهو يقول: رَأَيْتُ البُدْنَ قدْ قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ، فَما أَرَى أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.

ثم جاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، فقالَ ﷺ هذا سُهيلٌ قد سَهَّل اللهُ لكم أمرَكم. وهذا ديدنُ المسلمِ في الأمورِ الحوالكِ؛ يتفاءلُ ويُحسِنُ الظنَّ بربِّه مع حسنِ العملِ.

فَقالَ سُهيلٌ: هَاتِ اكْتُبْ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا ﷺ الكَاتِبَ، فَقالَ ﷺ: بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قالَ سُهَيْلٌ: أمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ ما أدْرِي ما هو، ولَكِنِ اكْتُبْ «باسْمِكَ اللَّهُمَّ» فَقالَ ﷺ اكْتُبْ «باسْمِكَ اللَّهُمَّ».

ثُمَّ قالَ: هذا ما قَاضَى عليه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ، فَقالَ سُهَيْلٌ: واللَّهِ لو كُنَّا نَعْلَمُ أنَّكَ رَسولُ اللَّهِ ما صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، ولَا قَاتَلْنَاكَ، ولَكِنِ اكْتُبْ «مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ»، فَقالَ ﷺ: واللَّهِ إنِّي لَرَسولُ اللَّهِ، وإنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ «مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ». فَقالَ له ﷺ علَى أنْ تُخَلُّوا بيْنَنَا وبيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ به،

فَقالَ سُهَيْلٌ: واللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، ولَكِنْ ذلكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقالَ سُهَيْلٌ: وعلَى أنَّه لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وإنْ كانَ علَى دِينِكَ إلَّا رَدَدْتَهُ إلَيْنَا. قالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! كيفَ يُرَدُّ إلى المُشْرِكِينَ وقدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟

فَبيْنَما هُمْ كَذلكَ إذْ دَخَلَ أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ في قُيُودِهِ، ورَمَى بنَفْسِهِ بيْنَ أظْهُرِ المُسْلِمِينَ، فَقالَ سُهَيْلٌ: هذا يا مُحَمَّدُ أوَّلُ ما أُقَاضِيكَ عليه أنْ تَرُدَّهُ إلَيَّ، فَقالَ ﷺ: إنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ، قالَ:

فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيءٍ أَبَدًا، قَالَ ﷺ: فأَجِزْهُ لِي،

قَالَ: ما أَنَا بمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى فَافْعَلْ، قَالَ: ما أَنَا بفَاعِلٍ. فقَالَ أبو جَنْدَلٍ: أيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إلى المُشْرِكِينَ وقدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ ما قدْ لَقِيتُ؟! وكانَ قدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا في اللَّهِ.

قَالَ عُمَرُ: فأتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا إذًا؟ قَالَ: إنِّي رَسولُ اللَّهِ، ولَسْتُ أعْصِيهِ، وهو نَاصِرِي،

قُلتُ: أوَليسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أنَّا سَنَأْتي البَيْتَ فَنَطُوفُ بهِ؟ قالَ: بَلَى، فأخْبَرْتُكَ أنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلتُ: لَا، قالَ: فإنَّكَ آتِيهِ ومُطَوِّفٌ به.

قالَ: و أتيتُ أبا بكرٍ، فقال لي: أيُّها الرَّجُلُ، إنَّه لَرَسولُ اللَّهِ ﷺ وليسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وهو نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بغَرْزِهِ؛ فَوَاللَّهِ إنَّه علَى الحَقِّ. وفي ذلكَ تمامُ الانقيادِ والطاعةِ لرسولِ اللهِ ﷺ.

قالَ عُمَرُ: مَا زِلْتُ أَصُومُ وَ أَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأَعْتِقُ، مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ، مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ ؛ حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ...بارك الله ...

## الخطبة الثانية:

الحمد لله...أما بعد: فيا عباد الله:

لَمَّا فَرَغَ ﷺ مِن قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قالَ لأصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا، فَوَاللَّهِ ما قَامَ منهمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منهمْ أحَدٌ دَخَلَ علَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أتُحِبُّ ذلكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحَدًا منهمْ كَلِمَةً، حتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ وفعلَ ذلكَ فَلَمَّا رَأَوْا ذلكَ ﷺ

قَامُوا، فَنَحَرُوا، وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا.

إنَّها مشورةٌ من أُمِّ سلمةَ ﵂ لنبيٍّ مُرسَلٍ، غيَّرتِ مجرى الأحداثِ في مشهدٍ عصيبٍ، مما يؤكِّدُ على علوَّ شأنِ المرأةِ، وتكريمِ الإسلامِ لها وتعزيزِ رسالتِها، وأنَّ للمرأةِ الرشيدةِ بفِكْرِها ورأيِها وعملِها دورًا في صناعة الحياةِ وتربيةِ الجيلِ وإصلاحِ المجتمعِ بما يو افقُ طبيعتَها.

استبشرَ رسولُ اللهِ ﷺ بالفتحِ خيراً، فقال «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

(إنَّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً »، وقَرَأَهَا ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

يقولُ ابنُ القيمِّ: كانت الهدنةُ مقدِّمَةً بين يدي الفتحِ الأعظمِ، الذي أعزَّاللهُ به رسولَه وجندَه، ودخلَ الناسُ به في دينِ اللهِ أفواجًا، فكانت هذه الهُدنةُ بابًا له ومفتاحًا ومُؤَذْنًا بين يديِه، وهذه عادةُ اللهِ في الأمورِ العظامِ التي يقْضيِهَا قدَرًا وشرعًا أن يوطِّئَ لها بين يديْهَا بمقدِّماتٍ تُؤذنُ لها وتدلُ عليها".

ثم صلوا